المعهد إلى العمل في المدينة، ولكنّه قدّم بعض التنازلات، وكان أبرزها التخلّي عن النفَس الثوريّ اليساريّ.

إنَّ مدرسة فرانكفورت «النقديّة» طرحت مسألة الصناعات الثقافيّة؛ أي هل يمكن تحويل الثقافة إلى صناعة؟ وبالتالي إخضاعها إلى سلطة شركات متعدّدة الجنسيّة (رأس المال)، وإذا قبلنا بذلك ـ أي أنَّها صناعة ـ فستخضع إلى التنميط، وإلى قانون اقتصاديّات الحجم، وقانون السوق، وإنْ خضعت لهذا المنطق، هل هي ثقافة بالمعنى التنويريّ؟

أدورنو وهوكهايمر قدَّما في منتصف الأربعينيّات دراسة نقديّة للإنتاج الصناعي للمواد الثقافيّة، باعتبارها ظاهرة تهدف إلى تحويل الإنتاج الثقافي إلى سلع، حالها حال الإنتاج الصناعيّ للسيّارات أو أيّة سلعة أخرى. بالإضافة إلى ذلك، شهدت تلك الحقبة الزمنيّة بروز الفيلسوف الألمانيّ هربرت ماركوز Herbert Marcuse (١٨٩٨ ـ ١٩٧٩)، صاحب كتاب الإنسان ذو البُعد الواحد، ومنظّر ديالكتيك العقل.

هنا دارَ نقاشٌ كبير بين علماء الاتصال من أمثال الفيلسوف الألماني تيودور أدورنو Theodor Adorno [٨] (١٩٠٣ ـ ١٩٦٩)، وبول لازارسفيلد Paul Lazarsfeld (١٩٠١ ـ ١٩٧٦) المولود في فيينا ـ النمسا، حول وظيفة بحوث الاتصال، فنشب خلافٌ بينهما وأدّى إلى انفصالهما، وذلك بسبب أنَّ أدورنو لم يرضَ بتدخل (الزبون) في مضمون البحوث التي كان المركز يُصدرها، وأعتقد أنَّهم لا يُريدون التطرّق إلى أسئلة من قبيل «مَنْ؟ وكيف؟ ولماذا؟» الأمر الذي يُفقد البحوث مصداقيّتها، ولكنَّ لازارسفيلد كان أكثر براغماتيّة (نفعيّة)، وهذا التناقض يعكس الخلاف الجوهريّ بين مبادئ المدرسة الأمريكيّة الوظيفيّة، وبين مبادئ مدرسة فرانكفورت الألمانيّة النقديّة.

إنّ مدرسة فرانكفورت النقديّة أحدثت انقلاباً كبيراً، ليس فقط على المستوى الثقافيّ والنقديّ، بل حتى على مستوى بحوث الاتصال، وهذا التيّار جاء على النقيض ممّا أسّست له مدرسة شيكاغو الوظيفيّة، بل وحاربت الرؤية الرأسماليّة للثقافة والمجتمع... والإعلام أيضاً.

***

امتداداً لأطروحات مدرسة فرانكفورت النقديّة، وبالرؤيّة اليساريّة نفسها المناهضة للمدرسة الوظيفيّة الأمريكيّة التي تجسّد النظريّة الرأسماليّة، جاءت مدرسة الدراسات الثقافيّة Cultural Studies في بريطانيا في ستينيّات وسبعينيّات القرن الماضي، وقد اختصّت بالنقد الأدبيّ في بادئ الأمر.

إنَّ المدرسة البريطانيّة المتمثلة بمركز برمنغهام المعاصر للدراسات الثقافيّة CCCS، ركّزت على محوريّة المتلقي في العمليّة الاتصاليّة، وتُمثِّل

جاءت مدرسة الدراسات الثقافيّة Cultural Studies في بريطانيا في ستينيّات وسبعينيّات القرن الماضي، كامتداد لأطروحات مدرسة فرانكفورت النقديّة

٨ـ انتقد أدورنو الذي يُعَدُّ من أكبر منظّري المدرسة الألمانيّة النقديّة، في دراسته للبرامج الموسيقيّة الإذاعيّة، وضع الموسيقى التي تمّر الحطّ من قدرها بحيث لم تعد إلا تزييناً للحياة اليوميّة، كما أنّه صاحب مصطلح "السعادة المغشوشة للفن التّأييدي"؛ بمعنى الفن الموالي المندمج مع الأنساق القائمة.